الأدب والنقد

# المناجاة وتحدي القهر المجتمعي

## (قراءة في ديوان الشعلة لأحمد زكي أبو شادي)

إعـــداد
د/ بسمة عبد الحكيم عبد الرحيم سعد الدين
مدرس الأدب والنقد بكلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة

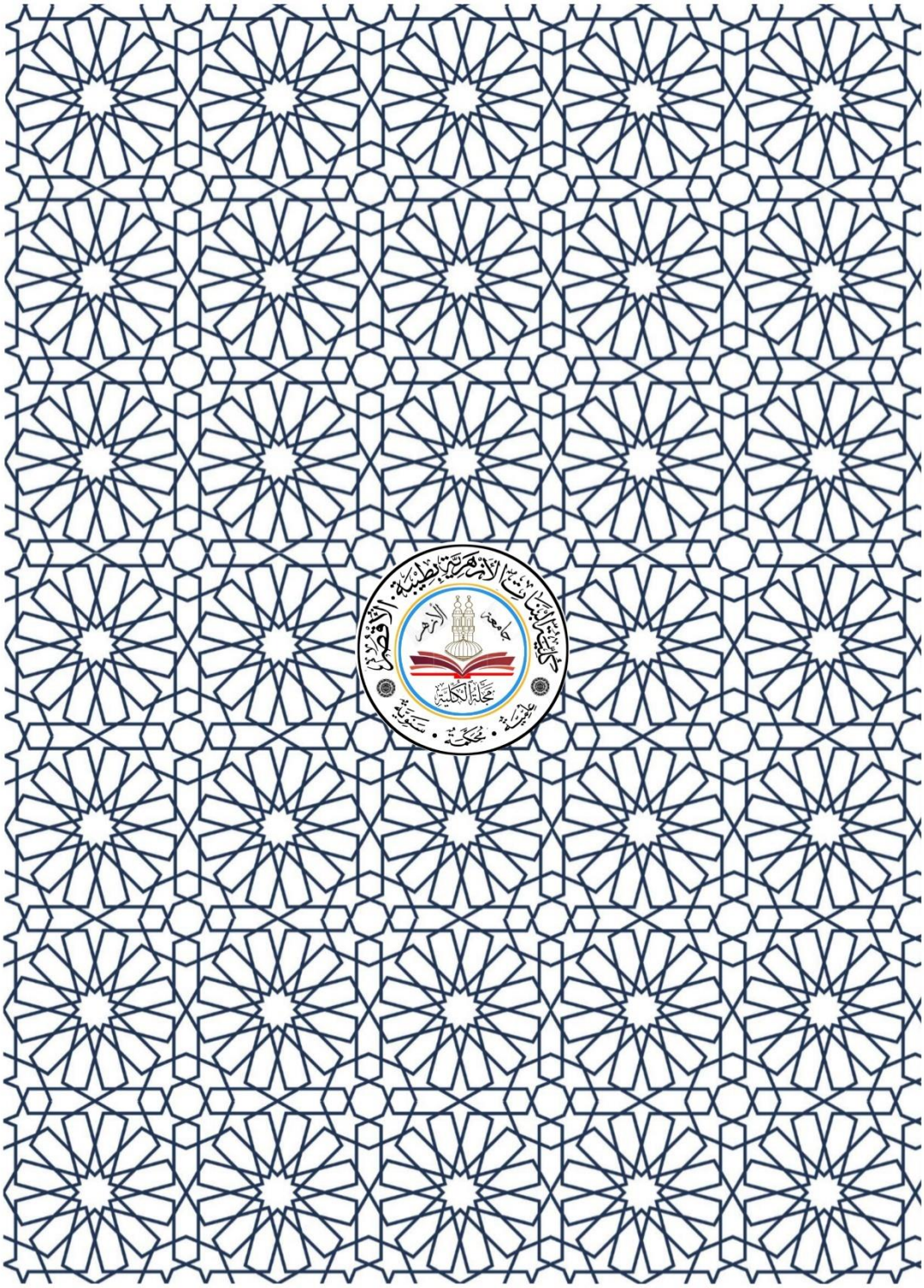

# المناجاة وتحدي القهر المجتمعي (قراءة في ديوان الشعلة لأحمد زكي أبو شادي).

**د/ بسمة عبد الحكيم عبد الرحيم سعد الدين**

قسم الأدب والنقد كلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة – جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

**البريد الالكتروني**: basma-abdelraheem.2080@azhar. edu. eg

**ملخص البحث**

يتناول هذا البحث ظاهرة المناجاة وتجلياتها عند أبي شادي، كدراسة مستقلة نابعة من نصوصه الشعرية، وخاصة ديوانه (الشعلة، واختيار نماذج شعرية له نابعة من روح موضوعه نفسه وهو: (المناجاة وتحدي القهر المجتمعي (قراءة في ديوان الشعلة لأحمد زكي أبو شادي). فشاعرنا تحدى القهر، ولم يقف مكتوف الأيدي، بل ناضل، وثار، وسلك طريق المناجاة كأداة من أدوات التعبير عنده، فجاء ديوانه (الشعلة) صرخة مناجاة مدوية، تنبئ عن مكنونه النفسي، وضميره الحسي. وسيكون المنهج المتبع هو المنهج الوصفي، الذي يصف النصوص كما هي، مستعينًا بالتحليل الأدبي لها تحليلًا يبرز دور المناجاة في التعبير عن رؤى الشاعر حتى أصبحت منبعًا من منابع التعبير عنده. وستكون خطة البحث المتبعة عبارة عن: مقدمة، وتمهيد: يشتمل على مصطلحات الدراسة، ونبذة مختصرة عن نشأة المناجاة وعلاقتها بالأدب، ثم المبحث الأول: وفيه السيرة الذاتية والفنية للشاعر، مع إلقاء الضوء على دوافع قهره، ثم المبحث الثاني: ويشمل صور المناجاة في ديوانه، وأخيرًا تأتي الخاتمة والفهرس.

**الكلمات المفتاحية:** المناجاة، تحدي، القهر، المجتمع، الشاعر.

# The soliloquy and the Challenge of Societal Oppression (A Reading in the Diwan of Al-Shula by Ahmed Zaki Abu Shadi).

Dr. Basma Abdel-Hakim Abdel-Rahim Saad El-Din

Department of Literature and Criticism, Al-Azhar Girls College, New Thebes, Al-Azhar University, Egypt.

**Email**: basma-abdelraheem. 2080@azhar. edu.eg

**Research Summary**:

This research deals with the phenomenon of soliloquy and their manifestations with Abu Shadi, as an independent study stemming from his poetic texts, especially his collection (Al-Shula), and choosing poetic models for him stemming from the spirit of his subject itself, which is: (The soliloquy and the challenge of societal oppression (a reading in the Diwan of Al-Shula by Ahmed Zaki Abu Shadi). Our poet defied oppression did not stand idly by, but struggled, revolted, and took the path of soliloquy as a tool of his expression, so Al-Shula came as a resounding soliloquy, foretelling his psychological hiddenness and his sensory conscience. The approach followed will be the descriptive approach, which describes the texts as they are, using the help of a literary analysis of them, an analysis that highlights the role of monologues in expressing the poet's visions until they became a source of expression for him. The research plan will be: an introduction, a preface, two chapters, a conclusion, and indexes. The research plan will be: an introduction, and a preface: it includes the terms of the study, and a brief summary of the origins of the monologue and its relationship to literature, then the first topic: it contains the biography and artistic biography of the poet, with shedding light on the motives of his oppression, then the second topic: it includes images of the monologue in his collection, and finally it comes Conclusion and index.

**Keywords**: soliloquy, challenge, oppression, society, poet.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا كثيرًا لا ينقطع أوله ولا ينتهي آخره، والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد –صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد...

فليس بخافٍ لأحد ما ظهر في شعرنا العربي الحديث من تيارات متباينة ومتناقضة، أسهمت في نهضة الأدب، وكان شاعرنا الذي ينتمي لتيار (جماعة أبوللو)، قد حمل على عاتقه ضمن الكثير من الشعراء لواء المجتمع، فتفانى من أجله، فاستنهض الهمم، وثار ورفض القهر والاستعباد والاحتلال، وعندما كان يضيق به الحال ولا يجد منفسًا يلجأ لذاته يناجيها، ويخلق في مخيلته أشخاصًا يبثهم آلامه وأحزانه.

فأحمد زكي أبو شادي تحدى القهر المجتمعي، ولم يقف مكتوف الأيدي، بل ناضل وثار وناجى، فجاء ديوانه (الشعلة) صرخة مناجاة مدوية تنبئ عن مكنونه النفسي، وضميره الحسي.

وانطلاقًا مما سبق يمكنني تحديد الدوافع الذاتية والموضوعية التي دفعتني إلى اختيار موضوع (المناجاة وتحدي القهر المجتمعي (قراءة في ديوان الشعلة لأحمد زكي أبو شادي)) ما يأتي:

١- الميل الخاص إلى دراسة هذا الشاعر العظيم الذي أسهم في نهضة الأدب، والارتقاء بالمجتمع، فالأدب هو المجتمع.

٢- الشعور بمسئوليتي تجاه أدبنا العربي الحديث، وما ظهر فيه من أسرار فنية كشفت عن واقع هذا الأدب، ومن أبرزها المناجاة.

٣- جدة الموضوع، فالمناجاة ارتبطت بالنثر، فأردت توضيحها، وارتباطها بالشعر، كوسيلة من وسائل التعبير الحديث.

٤- حاجة المتخصصين في الأدب لدراسات تطبيقية، توضح كيف عانى الأدباء من القهر؟ وكيف واجهوه بنصوص مباشرة، وأخري غير مباشرة، تلك التي سلكوا فيها طريق المناجاة.

وبتضافر تلك الدوافع عقدت العزم على دراسة هذا الموضوع، واتباع المنهج الوصفي الذي يعني بوصف ظاهرة المناجاة، مع تحليل الأبيات تحليلًا أدبيًا يكشف عن بروزها عند شاعرنا باعتبارها سمة بارزة من سمات التعبير عنده.

**وتكمن إشكالية البحث: في الإجابة عن التساؤلات:**

ما المناجاة؟، وكيف كانت منفسًا للشاعر للثورة والتمرد؟، وهل حققت الغاية منها في الكشف عن رؤى الشاعر ومبادئه؟

وعليه فقد جمعت مادة بحثي، ووزعتها على خطة، تشمل: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

**أما المقدمة:** ففيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع، وإشكالية الدراسة، وخطة البحث.

**وأما التمهيد:** ففيه التعريف بمصطلحات الدراسة، ونبذة مختصرة عن نشأة المناجاة وعلاقتها بالأدب.

**وأما المبحث الأول:** ففيه وقفات مع الشاعر من حيث: السيرة الذاتية، والفنية له، وإلقاء الضوء على دوافع قهره.

**وأما المبحث الثاني:** ففيه صور المناجاة في ديوان الشعلة.

وبعد كل ذلك جاءت الخاتمة لتسرد مجموعة النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

والله أسأل التوفيق والسداد، فهو من وراء القصد عليم.

# تمهيد

يتضمن موضوع الدراسة: (المناجاة وتحدِي القهر المجتمعي)، مصطلحات: المناجاة، وتحدي، والقهر، والمجتمعي.

**أولاً: تعريف المناجاة:**

**في اللغة:** نجا وناجاه مناجاة: أي ساره، وتناجى القوم: تسّاروا، وانتجاه: إذا اختصه بمناجاته، قال أبو اسحاق: معنى النجوى في الكلام: ما ينفرد به الجماعة، والاثنان سرًا كان أو ظاهرًا [(١)].

**وفي الاصطلاح:** لقد كانت المناجاة تعرف اصطلاحيًا مقرونة بمناجاة الله –عز وجل- فهي تعتبر: "من ألوان آداب الصوفية، أنشأوه في مناجاة الله –عز وجل- والحديث إليه، والاستغراق في خطابه، وهي لون من ألوان النثر، أتى فيه الصوفية بكل معنى جديد بديع"[(٢)]، فبذلك كانت تعرف المناجاة اصطلاحًا على أنها من ابتكار الصوفية.

ثم أضحت المناجاة طريقة أدبية يعبر من خلالها الشاعر عما يدور بداخله من مشاعر وأفكار، لذلك تعرف في المصطلحات الأدبية بأنها: نشاط فردي، يتكلم فيه الشخص وحده، وعادة ما تتخذ شكل حوار، وذلك عندما يتكلم المرسل ويجيب نفسه[(٣)].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (ت:٧١١هـ) ١٥/ ٣٠٩ (فصل النون، مادة: نجا)، ط٣: ١٤١٤هـ، الناشر/دار صادر-بيروت. المعجم الوسيط، تأليف/ مجمع اللغة العربية (أ/إبراهيم مصطفى وآخرون) ٢/ ٩٠٥، (باب النون)، الناشر/دار الدعوة.

(٢) الأدب في التراث الصوفي د/ محمد عبد المنعم خفاجي صـ١١٣، الناشر/ مكتبة غريب، بدون طبعة وتاريخ.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة د/ سعيد غلوش صـ٢٠٩، ط١: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، الناشر/ دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان.

وتعرف –أيضًا- بأنها: حديث تلقيه إحدى الشخصيات في عمل أدبي معتبرة نفسها وحيدة بمفردها؛ وذلك لكي تفضي تلك الشخصية بأعمق مشاعرها، وأخصها[١].

فالمناجاة في الأدب: طريقة من طرق التعبير يلجأ فيها الشاعر إلى مخاطبة نفسه، أو شخص آخر، أو شيء من الطبيعة يتخيله شخص أمامه، فتتسع الدلالات والرؤي الفنية داخل القصيدة.

**ثانيًا- تعريف التحدي:**

التحدِي: مأخوذ من الفعل تحدَّى، يقال: تحدَّى فلانًا: أي يباريه وينازعه الغلبة[٢].

والتحدِي: بكسر الدال، مفرد جمعه: (تحديات) لغير المصدر، وهو: ما يواجه الأفراد من عقبات، أو أخطار، هذا التحدِي يكون ببذل جهد مضاعف استجابة لحب البقاء[٣].

**ثالثا- تعريف القهر:**

**في اللغة:** (قهر) القاف والهاء والراء، كلمة صحيحة تدل على غلبة وعلو، يقال: قَهَرَهُ يَقْهَرُهُ قَهْرًا: غلبه، وأُقْهِرَ الرجل: إذا صُيِّر في حالٍ يُذل فيها، قال الأزهري: القهر: أي صار أصحابه أذلاء مقهورين[٤].

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية، إعداد/ إبراهيم فتحي، صـ٣٤٩، الناشر/ المؤسسة العربية للناشرين المتحدين-تونس.

(٢) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تأليف/ نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت:٥٧٣هـ) ت.د/ حسين بن عبدالله العمري، وآخرون، ١٣٦٩/٣، ط-١٤٢٠:١هـ- ١٩٩٩م، الناشر/ دار الفكر المعاصر-بيروت، ودار الفكر –دمشق.

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة تأليف د/ أحمد مختار عبد الحميد (ت:١٤٢٤هـ) ٤٦١/١، (مادة: ح. د. و)، ط١: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الناشر/ عالم الكتب.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت:٣٩٥هـ)، ت/ عبدالسلام محمد هارون، ٣٥/٥، (مادة: قهر) ط-١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر/ دار الفكر، ولسان العرب لابن منظور ١٢٠/٥، (فصل القاف، مادة: قهر).

**وفي الاصطلاح**: هو: القوة أو الضغط الذي يفرض على الفرد أو الجماعة للقيام بنشاط معين[١].

**رابعًا: تعريف المجتمع:**

**المجتمع**: اسم مكان من اجتمع، وهم: جماعة من الناس تربطهم روابط ومصالح مشتركة، وعادات، وتقاليد، وقوانين واحدة[٢].

**فالقهر المجتمعي هو**: أن يعيش الإنسان في المجتمع حالة من العنف المفروض عليه، والذي تتعدد مصادره، فقد يكون من الطبيعة التي لا يستطيع لها ردعًا، وقد يكون على الصحة والرزق، فيشعر وكأنه غير مستقر نفسيًا، ومُعَرَّض لكل مفاجأة، قد تحمل له مصيبة[٣].

فالقهر قد يكون بفعل من الطبيعة، وقد يكون من عدو محتل، أو من جوع أو فقر، أو من سلطة، أو غير ذلك مما يشكل أسلوب ضغط على الفرد في المجتمع.

ولذا يكون القهر مرادفًا للظلم، وكلاهما نهى عنهما ديننا الحنيف، ودعا الناس لمجتمع عادل متأخٍ حتى يعم الخير والرخاء على المجتمع.

**نبذة مختصرة عن نشأة المناجاة، وعلاقتها بالأدب:**

لقد ارتبطت (المناجاة) في نشأتها الأولى بممارسات ديننا الإسلامي الحنيف، كالخطبة، والموعظة، والدعاء، ويمكننا أن نلمس تلك النصوص في بعض أدعية الرسول –صلي الله عليه وسلم-، وخطبه، وأدعيته، ثم المأثور من أقوال الصحابة، والتابعين، وكل ما يعبر عن فكرة ابتهال ومناجاة العبد ربه[٤].

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/أحمد مختار عبد الحميد ٦٦/٣.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/أحمد مختار عبد الحميد ٣٩٦/١.

(٣) ينظر: التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور) د/ مصطفى حجازي، صـ٣٧، ٣٨، ط٩: ٢٠٠٥م، الناشر/ المركز الثقافي العربي.

(٤) ينظر: المناجاة نوعًا أدبيًا (دراسة في كتاب الإشارات الإلهية) لأبي حيان التوحيدي د/ خيري دومة، صـ٢٨٩، ٢٩٠، (بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية) العدد ٢٦، ط٢٠١٥م.

ثم انتقلت المناجاة للصوفية، فأصبح للصوفيين باعٌ طويل في هذا المجال، حتى ارتبطت بهم المناجاة، وهي مناجاة كلها فناء في الحب الإلهي، وضراعة إلى المقام الأسمى والذات العليا[١]، فرأينا مناجاة ذو النون المصري، وجلال الدين الرومي، وغيرهما.

فها هو ذو النون المصري، يناجي ربه، ويقول: "إلهي، ما أصغي إلى حفيف شجر، ولا صوت حيران، ولا خرير ماء، ولا ترنم طير، إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك، دالة على أنه ليس كمثلك شيء، وإنك غالب لا تُغلب، وعدل لا تجور"[٢].

ومع تطور المناجاة، أصبحت لونًا من ألوان الأدب مرتبطة بالشعر الصوفي، ذلك اللون البارز في شعرنا العربي، وبرز فيه كثير من الشعراء، من أمثال: ابن الفارض، وابن العربي، ورابعة العدوية، وغيرهم ممن أثارت أشعارهم جموع الباحثين لدراسة شعرهم؛ لما لها من وقع على النفس، فهو شعر وتعبد في آن واحد.

فها هو ابن الفارض يقول[٣]:

وصرّح بإطلاق الجمال ولا تقل ... بتقييده ميلا لزخـرف وزينة

فكل مليح حسنه من جمالـه ... معار له بل حسن كل مليحه

فهو هنا يتغنى ويصرح بحبه الإلهي.

وبعد كل ذلك سرعان ما شهدت المناجاة تحولًا واضحًا في شعرنا العربي المعاصر، إذ خرجت من إطارها العام –وهو مناجاة الله- وأصبحت طريقة من طرق التعبير عند الشعراء، تشكلت منها الكثير من الصور التي تثير المتلقي وتؤثر فيه.

لذا وجدنا الكثير من الشعراء عندما يضيق بأحدهم الحال، ويخشى على نفسه الذلة واللوم، يلجأ للمناجاة كنوع من أنواع التعبير، بطريقة مجازية، بحيث يخلق

(١) ينظر: الأدب في التراث الصوفي د/ محمد عبد المنعم خفاجي صـ١١٢:١١٤.

(٢) المرجع السابق صـ١١٤.

(٣) ينظر: ديوان ابن الفارض صـ٦٩، ٧٠، الناشر/ دار صادر-بيروت، بدون طبعة وتاريخ، والأبيات من قصيدة بعنوان: (سقتني حميا الحب)، وهي التائية الكبري المسماة بنظم السوك، ومطلعها: سقتني حميا الحب راحة مُقلتي *** وكأسي محبًا من الحسن جلت

أشخاصًا يبثها شكواه، وما ينتابه من آلام وأحزان.

وبذلك يكون انتقال المناجاة للأعمال الأدبية، تعويضًا للشاعر ومساعدة له للتعبير عن حالة، أو مشاعر معينة تنتابه، ليس بإمكانه البوح بها.

هذا وقد جاءت المناجاة عند الشعراء على عدة صور، تنوعت حسب الموقف، ومن أهم صورها ما يأتي:

أ- مناجاة الله: وهي تضرع الشاعر إلى الله –عز وجل- ؛ للخروج من حالة الضعف المسيطرة عليه.

ب- مناجاة المكان والزمان: وهي التي يلجأ فيها الشاعر لمخاطبة طلل، أو زمن؛ لاستحضار ذكرى معينة، أو رؤية الأمس والغد بعين مختلفة.

ج- مناجاة النفس: وهي التي يلجأ من خلالها الشاعر لتوجيه خطابه لنفسه، أو لغيره لومًا أو شكوى، أو بكاء على شيء فات(١).

د- مناجاة الطبيعة: فقد اعتبرها الشعراء مشهدًا استوحوا منه العديد من الصور الشعرية، وهو لا يصفها بقدر ما يصف إحساسه نحوها، فكثيرًا ما يرتمي بين أحضانها باحثًا عن الطمأنينة والهدوء، والأمن بين ربوعها(٢).

هكذا تأتي المناجاة طريقة تعبيرية، يستعين بها الشاعر؛ ليوجه حديثه لنفسه أو لشخص آخر، أو لرمز من رموز الطبيعة، وغالبًا ما تبدأ بالنداء، وتعتمد على التشخيص، حيث يمنح الجمادات صفة البشر؛ للتعبير عن تجربته، وتوصيلها للمتلقي.

---

(١) ينظر: ظاهرة المناجاة في شعر أبي نواس، تأليف/ صالح علي الشتيوي، ص٦٣، ٦٤، (بحث منشور بمجلة مؤتة) المجلد ١٦، العدد ٢، عام ٢٠٠١م- الأردن.

(٢) ينظر: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، تأليف/أحمد عوين ص١٠٨، ط١: ٢٠٠١م، الناشر/ دار الوفاء-مصر.

## المبحث الأول:
## وقفات مع الشاعر من حيث:
## السيرة الذاتية، والفنية، وإلقاء الضوء على دوافع قهره.

### أولاً: السيرة الذاتية:

يعد أبو شادي من عمالقة الشعر الحديث، ورائد من رواد نهضته، فهو مؤسس "مدرسة أبوللو"، التي تضم طائفة من الشعراء الذين حملوا على عواتقهم رسالة الشعر، والنهوض به.

### أما عن نسبه ومولده:

فهو: أحمد زكي بن محمد بن مصطفى أبي شادي، طبيب جراثيمي، أديب، نحال[١]، ولد في التاسع من فبراير عام (١٨٨٢م) بحي الحنفي أحد أحياء القاهرة، والتحق وهو في الرابعة من عمره بمدرسة الهياتم بالحنفي، وعندما ناهز السابعة دخل مدرسة عابدين الابتدائية، ثم انتقل إلى المدرسة التوفيقية بشبرا، حيث أتم تعليمه الثانوي، ثم انتقل إلى كلية الطب، ومكث بها عامًا واحدًا وتركها بعد أن فشل في حبه الأول[٢].

### نشأته:

نشأ الشاعر في أسرة أدبية، لأب كان محاميًا وخطيبًا مفوهًا، ولأم كانت تنظم الشعر وتشدوه، وهي (أمينة) أخت الشاعر (مصطفى نجيب)، فالجو الذي نشأ فيه كان جوًا أدبيًا، فقد تفتحت فيه مواهبه الشعرية والأدبية، إذ لا يصل معه إلى السادسة عشرة من عمره حتى نجده ينشر طائفة من شعره ونثره بعنوان (قطرة من يراع في الأدب والاجتماع)، ولا يلبث أن يلحقها في العام الثاني بقطرة ثانية، ويتبعها

---

(١) ينظر: الأعلام للزركلي (ت:١٣٩٦هـ) ١٢٧/١، ط٥: ٢٠٠٢م، الناشر/ دار العلم للملايين.

(٢) ينظر: أعلام الشعر العربي الحديث (أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي، بشارة الخوري)، تأليف: د/ محمد مندور، وعبد العزيز الدسوقي، تقديم/ إيليا حاوي، صـ١٤٠، ط١: ١٩٧٠م، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر-بيروت.

بقطرتين أخرتين من النظم والنثر[١].

وفي عام (١٩١٢م) أصيب بأزمة عاطفية حادة؛ وذلك عندما تزوجت فتاة أحلامه من رجل آخر، وكانت ربيبة والده تعيش معه، ولقد أصابه هذا الحدث باضطراب نفسي عميق، ترك على أثره كلية الطب، فأرسله والده إلى اليونان ليعالج، ثم عاد وأرسله إلى إنجلترا ليتعلم هناك بعيدًا عن مسرح المأساة، فسافر إلى لندن، ودرس الطب حتى عام (١٩١٥م)، وتخصص في علمي الأمراض الباطنية والجراثيم، فنال شهادة الشرف في علم البكتريولوجيا من مستشفي (سانت جورج)، وعمل فترة مساعدًا بالمعمل البكتريولوجي.

ثم وجد في نفسه اهتمامًا بدراسة النحالة، فدرسها، وأسهم في تأسيس معهد النحل الدولي عام (١٩١٩م)، ومجلة عالم النحل بإنجلترا[٢].

وفي عام (١٩٢٢-١٩٤٦م) عاد من إنجلترا إلى القاهرة مع زوجته الإنجليزية، التي كان قد تزوجها أثناء مقامه بإنجلترا، وقد عين طبيبًا بكتريولوجيا عام (١٩٢٣م)، وظل فترة طويلة في الوظيفة يتنقل بين القاهرة والسويس وبورسعيد والإسكندرية، وعمل في هذه الفترة مديرًا لمعمل الحكومة البكتريولوجي في السويس والإسكندرية، ثم عين وكيلًا لكلية الطب بالإسكندرية[٣].

## ثقافته:

تتلمذ أبو شادي على يد خليل مطران منذ طفولته، وذلك عندما كان يلقى الشاعر العظيم في صالون أبيه المحامي الكبير، والزعيم الوطني (محمد بك أبو شادي)، وإذا كان أبو شادي قد انقطع عن ملاقاة (مطران) أثناء العشر سنوات التي قضاها في انجلترا في دراسة الطب كمهنة، والأدب كهواية، فإن العلاقة الأدبية المتينة بين التلميذ وأستاذه لم تلبث أن عادت إلى قوتها، وهي علاقة يعترف بها ويجلها أبو شادي نفسه في الفصل الذي

(١) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر د/شوقي ضيف صـ١٤٥، ط.١٠، الناشر/دار المعارف، (بدون تاريخ).

(٢) ينظر: أعلام الشعر العربي الحديث صـ١٤٠،١٤١.

(٣) المرجع السابق صـ١٤١.

كتبه ختام أول ديوان له، وهو (أنداء الفجر)، تحت عنوان: (مطران وأثره في شعري)[١].

وفي أثناء دراسته بإنجلترا اهتم بالأدب والشعر، فوقف على التيارات الأدبية التي كانت تضطرم هناك، وتذوق من الشعر الإنجليزي، فتكون في تلك الفترة مزاجه الثقافي، والفني، واكتسب من دراسته العلمية نظرة ناقدة عميقة ساعدته على تفهم كثير من أسرار الحياة[٢].

**مذهبه الشعري:**

لم يعتمد الشاعر على مذهب شعري بعينه، بل كان دائرة معارف تتسع لكافة المذاهب، والفنون، والاتجاهات الحديثة، ومع ذلك أحدث حركة شعرية واسعة، وذلك بتكوين جمعية (أبوللو)[٣]، وذلك في عام (١٩٣٢م)، والتي كانت ترمي إلى الثورة على القديم، والدعوة إلى الحرية في الفكر والأدب، وكان لها مجلة أدبية تسمى مجلة (أبوللو) الشعرية، أصدرها أبو شادي في القاهرة، وكانت لأنصار الجديد من الشعراء والأدباء، وتكاد تكون المجلة الشعرية الوحيدة التي ظهرت في العالم العربي، وقد استمرت نحو ثلاث سنوات، ثم احتجبت[٤].

هذا وقد صادف شاعرنا في حياته الحكومية والأدبية عنتًا وأذى من رؤسائه وأنداده، واستُهدف من أجل نزعته الحرة لشتى ضروب المناوأة، فقرر الهجرة من مصر، وهاجر إلى (أمريكا) عام (١٩٤٦م)، وهناك رحبت به الدوائر الأدبية، وأخذ ينشر في الصحف والمجلات العربية والغربية في أمريكا ثمار أدبه وشعره، كما أخذ يذيع من (صوت أمريكا) مرتين في الأسبوع، وأسس هناك (رابطة مينرفا) الشعرية الأدبية، على غرار (جمعية أبوللو)، فانتخب أستاذًا للأدب العربي بمعهد آسيا بنيويورك، وهو رغم

(١) ينظر: الشعر المصري بعد شوقي تأليف: د/ محمد مندور صـ١٢٢، ١٢٣، الناشر/ مكتبة نهضة مصر-الفجالة، (بدون طبعة وتاريخ).

(٢) ينظر: أعلام الشعر في العصر الحديث، صـ١٤١.

(٣) ينظر: الشعر المصري بعد شوقي، د/ محمد مندور صـ١٢٣.

(٤) ينظر: شعراء الوطنية لعبد الرحمن الرافعي صـ٢٨٤، الناشر/ مؤسسة هنداوي ١٩٥٤م.

هجرته دائم الصلة بوطنه بواسطة الصحافة في أمريكا وفي مصر، وبواسطة مريديه وتلاميذه الممتازين الذين اقتبسوا من روحه التقدميه، وتعلقه بالحرية، وإيمانه بما يقول ويكتب[١].

**مؤلفاته:**

لشاعرنا عدة دواوين شعرية تتميز بالإبداع، والموهبة الفكرية السامية.

نذكر له: ديوان "زينب" (عام١٩٢٤م)، و"مصريات" (عام١٩٢٤م)، و"أنين" (مايو ١٩٢٥م)، و"شعر الوجدان" (عام١٩٢٥م)، وموسوعته الشعرية الضخمة "الشفق الباكي" (عام١٩٢٥م)، و"مختارات من وحي العام (ديسمبر ١٩٢٨م)، و"أشعة وظلال" (عام١٩٣١م)، و"الشعلة" (ديسمبر١٩٣٢م)، و"أغاني أبي شادي" (عام١٩٣٣م)، و"أطياف الربيع (عام١٩٣٣م)، و"الينبوع" (يناير١٩٣٤م)، و"الكائن الثاني" (عام ١٩٣٥م).

وفي شعر فترة (١٩٣٥م) شعر بقسوة الحياة، واضطهاد الناس وجحودهم، فصمت فترة عن قول الشعر حتى عام (١٩٤٢م)، حيث أصدر في (يناير) من هذا العام ديوانه: "عودة الراعي"، وهو آخر ديوان أصدره في الوطن[٢].

ومن آخر دواوينه: "من السماء"، وقد صدر في "نيويورك" (عام١٩٤٩م)، وهو يضم معظم شعره من عام (١٩٤١ إلي ١٩٤٩م).

هذا إلى جانب ما أخرجه من الكتب، والمؤلفات، والقصص، والمسرحيات[٣].

**وفاته:**

كانت وفاة "أبو شادي" في "واشنطن" في الثاني عشر من أبريل (عام١٩٥٥م)، عن

(١) ينظر: شعراء الوطنية لعبد الرحمن الرافعي: صـ٢٨٤، ٢٨٥.
(٢) ينظر: أعلام الشعر العربي الحديث صـ١٤٢.
(٣) ينظر: شعراء الوطنية صـ٢٨٥.

ثلاثة وستين عامًا[١].

**ثانيًا: السيرة الفنية للشاعر:**

لمّا كان شاعرنا رائدًا لجماعة تدعو للتجديد في الشعر، كان لابد من الاطلاع على شعره، الذي يكشف من خلاله عما كان يختلج في صدره تجاه المذاهب الشعرية المتعددة، لذا نراه يقول: "إننا ندافع عن حرية الشعر المطلقة موضوعًا وتعبيرًا، ندافع عن هذا الفن الرفيع الذي بلغ الذروة بإنسانيته، وبقيادته الحرة، كان الرائد لحركات الإصلاح، والتطهير، والتسامي، خلافًا للشعر المصنوع الهوائي، ندافع عن حق الشعر الإنساني للعلِم المعنف"[٢].

لذا جاء شعره يجمع بين الكلاسيكية الجديدة، والرومانتيكية المثالية، كما حرص على الشعر الوجداني، والغزلي، والصوفي، والاجتماعي، كما استخدم الشعر الرمزي؛ لذا نراه يسبق جيله بشعره، ويتفتح أفقه على آفاق في الشعر عالمية، حتى برزت له الألوان الشعرية المتعددة[٣].

فمثلًا نراه وهو ينفعل بمجتمعه، ويهتم بقضاياه، يقول[٤]:

أسير وكم أرى في الناس حولي ... أسيرًا حاله كالمومياء

كأن السحر جدده ولكن ... يلوح به التعمق في الفناء

فأبصر فيه صورة آدمي ... وما ألقى به معني الرجاء

فهل رحل الورى عن مصر حتى ... رأينا الميت يرجع للوفاء

(١) ينظر: مدارس الشعر العربي في العصر الحدبث د/صلاح الدين عبد التواب صـ١٧٨، الناشر/ دار الكتاب الحديث ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، تأليف/ أحمد زكي أبو شادي، صـ١٠، الناشر/ مؤسسة هنداوي، (بدون طبعة وتاريخ).

(٣) ينظر: مدارس الشعر العربي في العصر الحديث صـ١٨١.

(٤) ديوان أطياف الربيع لأحمد زكي أبو شادي صـ٩٢، الناشر/ مؤسسة هنداوي ٢٠١٩م. والأبيات مقطوعة بعنوان: "المومياء".

ولكـــــن الفنـــاء يطـــل مـــنهم وأهـــل الأمـــس مـــن أهـــل البقـــاء

فمن يقرأ الأبيات الخمسة السابقة يدرك أن الشاعر يريد أن يبين أن الأحياء في مصر أقرب إلى الموميات، فهو يرى صورة آدميين ولكن لا رجاء منهم، فهو بذلك يرفض سلبية المجتمع وعدم دفاعه عن حقوقه.

ولم يكتف بذلك بل جرى في هذا الميدان وتلون في شعره باللون الواقعي، ومن أمثلة ذلك قصائده: "الديموقراطية" في ديوانه "مصريات"، و"الثالوث المقدس" في ديوانه "عودة الراعي" والتي استهلها بقوله(١).

الجهـــل والفقـــر والمـــرض ثالوثنـــا الباطـــش المنيـــعْ
أعـــزه بيننـــا الغـــرض وصـــال يســـتعبد الجمـــوعْ

فمن يمعن النظر ويدقق الفكر في البيتين السابقين يدرك أن الشاعر يذكر آفات المجتمع الثلاثة، ويجعلها ثالوثه الغاشم الذي يستعبده ويذله.

وكما انفعل الشاعر بالواقع الاجتماعي، لم يخل شعره من الجانب الوطني الخالص الذي ينادي فيه الشعب بتلبية نداء الوطن؛ ليكون لهم المجد والعزة، فنراه يقول(٢):

لبـــوا نـــداء الوطـــن لبـــوا نـــداء الحيـــاةْ
لكـــل مجـــدٍ ثمـــن والمجـــد مجـــد البنـــاةْ
ابنـــاء مصـــر اطرحـــوا هـــذا الجمـــود الســـقيم
هـــل يرتجـــى مطمـــح مـــن غيـــر جهـــد عميـــم؟
لا شـــيء فـــي الكـــون يحيـــا بغيـــر حـــزم ودأب

(١) ينظر: الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، تأليف/ مصطفى عبد اللطيف السحرتي، صـ٢٣٦، الناشر/ مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٤٨م.

(٢) ديوان فوق العُبَاب لأحمد زكي أبو شادي، صـ١٥٠، الناشر/ مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م. والأبيات من قصيدة بعنوان: "لبوا نداء الوطن".

فهنا ينادي أبناء مصر، ويأمرهم بتلبية نداء وطنهم، فلا مجد يأتى بدون تعب، وجهد دؤوب.

إن اندماج الشاعر في قضايا وطنه، واهتمامه بالشعر الاجتماعي، والوطني هو خالص من أي تعصب، فوجهته –دومًا- مجتمعه ووطنه، وشعره عنهما اعترافًا منه بحقهما عليه.

ومن أكثر أبواب شعره التي طرقها، شعره الوجداني، الذي احتفل فيه بالطبيعة، وتجاوب معها، فمثلًا في ديوانه: "أطياف الربيع"، الكثير من القصائد التي زاوج فيها بين خواطره الوجدانية، ومشاهد الطبيعة، فمثلًا نراه يقول في قصيدة "أمّنا الأرض"[١]:

أمّـاه إن لـديك صـفو حنيـني ... وإليـك مـرع فرحـتي وأنيـني

ألقاك في كنف السكون عبادة ... وأقبّـل التـرب الـذي يحييـني

وأروح اعشـق كـل مـا انجبتـه ... فجميعـه شعـر إزاء حنيـني

وكما اهتم شاعرنا بالشعر الذي مزج فيه بين وجدانه والطبيعة، نجده قد أكثر، وأفاض في شعره الغزلي، الصادر عن عاطفته، ورهافة مشاعره، فلم يخل ديوان من دواوينه من شعره الغزلي، الذي يتراوح بين التصون والعفاف إلى درجة التصوف، وبين الحب اللاهب، والرغبة المتلهفة الجامعة[٢].

ومن شعره الغزلي، قوله في قصيدته "الحب والأمل"[٣]:

وفـي الربيـع فحـيّ الحـب والأمـلا ... وسـائل الـذكر إن كـان الفـؤاد سـلا

واحفـظ حـديث الغـواني فـي أزاهـره ... واحرص على النفس أن يدني لها الأجلا

كما كان للمناجاة نصيب كبير في شعره، -وهذا ما سأتناوله في موضوع الدراسة-،

(١) ديوان أطياف الربيع، صـ٦١,٢٠١٤م.

(٢) ينظر: مدارس الشعر العربي في العصر الحديث صـ١٨٤.

(٣) ديوان أنداء الفجر لأحمد زكي أبو شادي، صـ٣، الناشر/ مؤسسة هنداوي ٢٠١٣م.

فبعبقريته الفذة لم يقتصر على هذه المعاني فقط، بل جمع في نفسه الوجدان الجماعي والفردي، فتغنى بآلام قومه، وحفل شعره بقضايا وطنه، وعندما هدأت نوازع نفسه، أخذت روحه العلمية تموه بالكثير من الآراء والأفكار، فأخذ يتجه اتجاهات متعددة في المعاني والأفكار والأخيلة، وحفل شعره بالنور والظلال، واللفتات العلمية الذكية، والتأملات الصوفية، ولعل أصدق مثال لهذا كله موسوعته الضخمة "الشفق الباكي"، فهو يجمع بين دفتيها كل المستويات الشعرية، ويعكس لنا الكثير من آرائه، ونظراته في الحياة، والحب، والوطنية، والقومية، والسلام، ويمكن أن نقرأ من خلالها روح العصر الذي عاش فيه أبو شادي وجيله من الشعراء، بل سجل كذلك بين دفتيها الخلاف بينه وبين شعراء التقليد، وهذا كما فصله لنا من خلالها الأستاذ "حسن الجداوي"[١].

هكذا استمر شاعرنا يحارب الفردية والذاتية والأنانية في الفكرة، ويؤمن بضرورة خدمة الفكرة، ويحرص على الدقة في المعني، وصدق العاطفة، ويعني بالناحية القصصية، وبالشعر التمثيلي، مع تميزه بالحس الإنساني العالي، وبالروحانية التي اتسم بها في أغلب قصائده[٢].

هذا ومن أبرز خصائص شعره: اهتمامه بالتجديد، فنوع في القوافي، فتارة تأتي مزدوجة، وتارة مثلثة، وتارة مربعة.

كما كتب شعرًا حرًا، وشعرًا مرسلًا، وملأ أشعاره بالرمزية الأسطورية، والإشارات التاريخية، واستلهم التراث اليوناني، والديني، والصوفي.

كما حاول المزج بين البحور في القصيدة الواحدة، وتنويع الأوزان، كما نسج شعره على فن الموشحات، وما كل هذه المحاولات إلا لتتسع المجالات لتعبيراته الفكرية، ونوازع روحه الفنية[٣].

(١) ينظر: أعلام الشعر العربي الحديث صـ١٦٢.
(٢) ينظر: مدارس الشعر العربي في العصر الحديث صـ١٨٦.
(٣) ينظر: أعلام الشعر العربي الحديث صـ١٦٥.

## ثالثا: دوافع قهره:

إن شاعرنا وشعراء "أبوللو" عامة، وإن لم يتعرضوا للقهر الحسي، فقد تعرضوا للقهر المعنوي، فإحساسهم بضياع وطنهم نوع من أنواع القهر، وإحساسهم بالظلم نوع من أنواع القهر، وإحساسهم بإخوانهم المضطهدين من أشد أنواع القهر، فهؤلاء الشعراء برهافة حسهم، لم يطيقوا القهر، بل فروا منه إلى الطبيعة، وداخل ذواتهم.

هذا وقد كان لإحساس شاعرنا، وجماعته بالقهر دوافع، من أهمها ما يأتي:

### أولاً: الظروف السياسية:

بعد نشوب ثورة (١٩١٩م) والتي هزت النفوس، وتمتعت بعدها البلاد بمجلس نيابي، وفاز "سعد" وصحبه بأغلبية، كان والد شاعرنا من بين أعضائه، إلا أن البلاد لم تنعم طويلًا، فسرعان ما دب اليأس في نفوس قادة الثورة، وشغلتهم المناوآت السياسية عن قيم الثورة، فوقعت انقلابات دستورية كثيرة، وجاءت وزارة "زيور"، ونفذت سياسة الإنجليز، وحكمت البلاد حكمًا دكتاتوريًا، وأهدرت كل القيم، وألغت الدستور.

ثم مات "سعد"، وتفرق أنصاره، وظهرت على مسرح الحياة السياسية أقلية من السياسيين اجتهدت لترضي رغبات القصر، ثم حَكَمَ "إسماعيل صدقي" الشعب فترات كان يسوم فيها الشعب السخف والهوان.

هذه هي الظروف السياسية التي نشأ في ظلالها شاعرنا، وجيله من الشعراء، فأصابتهم بخيبة أمل كبيرة، ولم يستطيعوا أن يحققوا أحلامهم، وهنا شعروا بالغربة، والحنين إلى الطبيعة، والهروب من واقع الحياة إلى داخل نفوسهم المرهفة الحزينة يتأملونها في حزن وألم، حتى أطلقوا في حياتنا الأدبية تيارًا رومانسيًا ازدهر على يد "أبي شادي"، وصحبه من أمثال: إبراهيم ناجي، وحسن كامل الصيرفي، وعلي محمود طه، ومحمود حسن إسماعيل، وغيرهم من الشعراء[١].

(١) ينظر: أعلام الشعر العربي الحديث صـ١٥٤:١٥٦.

## ثانيًا: الظروف الاجتماعية:

لم ينج الشاعر من المناوأة، فلم يمض وقت حتى تحجب مجلة "أبوللو"، فيخرج بعدها بمجلتي "الإمام، وأدبي"، ولم يكتب لهما النجاح، ويشكك البعض في موهبته، فكانت مصيبته في أدبه أقسى كارثة نزلت به، ثم تموت زوجته، فيصاب بخيبة أمل كبيرة، إلي جانب قسوة النقد الذي وجه له، فما كان منه إلا أن غادر "مصر" إلى "المهاجر الأمريكية"، وهناك عاود نشاطه، فاشترك في الأندية الأدبية، وأصدر دواوينه الشعرية(١).

وكذلك هناك كوارث مالية حفّت بـ"أبي شادي"، فرأيناه في بعض أشعاره يفزع إلى صدق الجائر، وملكية الطاغية، وهي سقطة يشفع فيها لـ"أبي شادي" شعره الوطني الكثير الذي ناصر فيه أحرارنا وزعماءنا الشعبيين(٢).

## ثالثا: التيارات الفكرية والأدبية:

لم تكن التيارات الفكرية بمنأى عن الظروف السياسية، والاجتماعية، فقد شهد عصر "أبي شادي" نهضة فكرية وأدبية كبيرة، ففي هذه الفترة ظهر "الدكتور طه حسين" بأفكاره التي تنادي بتحرير الأدب من التقاليد، فدخل –بسبب ذلك- في معارك طاحنة مع المحافظين.

ومع هذه الوثبة الفكرية، وفي هذه الأثناء، ظهرت "جماعة التجديد في شعرنا المعاصر"، وكان على رأس هذه الجماعة: "عبد الرحمن شكري، والعقاد، وإبراهيم المازني".

وقد كان التيار السائد قبلهم "تيار البعث"، الذي أثر في الثورة العرابية، وتأثر

(١) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر د/ شوقي ضيف، صـ١٤٧، الطبعة العاشرة، الناشر/ دار المعارف، ومدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر (الاتباعية- الرومانسية- الواقعية- الرمزية)، تأليف.د/ نسيب نشاوي، صـ١٠، الناشر/ ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر صـ١٤٧.

بها، وانطلق في قوة على يد فارسها "محمود سامي البارودي".

وهنا أحس شعراء التجديد إحساسًا حادًا، فبدأوا يثورون على هذا التيار ثورة عارمة، وكان حصيلة هذا الصراع الكثير من الدراسات النقدية.

لم تستطع هذه الحركة الجديدة أن تخفت أنغام حركة البعث، فسرعان ما اشتغلوا بالسياسة، وانزوى "عبد الرحمن شكري" بعيدًا عن المجتمع في صمت.

هذا الصراع بين جماعتي البعث والتجديد، أثمر تيارًا جديدًا هو تيار "أبوللو"، والذي كان على رأسه شاعرنا "أحمد زكي أبو شادي"، فقد وجدوا أستاذهم "خليل مطران"، يسكن على الحياد بعيدًا إلى جانب التيارات المتطاحنة، فلاذوا به، ووجدوا في كنفه أمنًا لنفوسهم المقهورة، وتشجيعًا على السير قدمًا[1].

هذه الظروف وغيرها التي أصابته هو وجماعته بحالة من القهر؛ لذا عمل على تحديها، والتغلب عليها بفن المناجاة.

(١) ينظر: أعلام الشعر العربي الحديث ص١٥٦:١٥٨.

## المبحث الثاني:
## صور المناجاة في ديوان الشعلة

**مدخل:**

إن اتجاه الشعراء في العصر الحديث إلى المناجاة، إنما هو تعبيرًا عن النزعة الوجدانية، التي اتضحت عند رواد الرومانسية، واستمرت إلى يومنا هذا؛ وذلك لأن النزعة الوجدانية تعتبر إحدى مراحل الإبداع الفني.

إن مناجاة "أبو شادي" جاءت من صميم قناعته بأن للشعر رسالة، لابد وأن تخرج دون التقيد بأساليب أو قناعات معينة، لذا نراه يقول: "إن الامتحان الحقيقي للقدرة الشعرية والفنية عند الشاعر، إنما يكون بإظهار تلك القدرة في شخصيته اللغوية، التي تشكل القالب الفني، تبعًا لما تمليه التجربة الشعرية، ومما يفيد الشعر أكبر فائدة أن نثريه بأساليب، وتكنيكات، وأشكال يتوفر فيها عنصر الإبداع والخبرة"(١).

ولأن ديوان (الشعلة) لأبي شادي هو محض تعبير عن ذاته، وتجربته الوجدانية، تتجلى فيه متغيرات المجتمع، ومرارة إخفاقه، جاءت المناجاة عنده لتعبر عن تلك الرؤية الذاتية الحزينة، فهي ملاذه الوحيد، وشذا روحه المكلوم عندما يتحرج التصريح.

لقد ذكر الشاعر في مقدمة ديوانه أنه لجأ للمناجاة لاعتبارات سياسية؛ وذلك عندما أراد أن يوصل رسالته للمتلقي دون مُساءلة أو تحرج، فقال: "وقد جاء شعر الديوان في دور انتقال، والنفوس جامحة، والخواطر مضطربة، والحريات معطلة، ولم تسمح الظروف بطبعه من قبل لاعتبارات سياسية، فهذه الكلمات التي تحمل أجزاء روحي أعرضها بروح صوفية على من تجاوبت بيني وبينهم أصداء نفوسنا، فاندمجت عواطفنا المشتركة في وحدة صافية، هذه المتعة الصوفية –متعة التجاوب النفسي- هي التي تجرفني إلى نشر هذا الشعر كيفما كانت قيمته الفنية"(٢).

---

(١) الشعر العربي الحديث (تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي) تأليف/س. موريه، ترجمه وعلق عليه د/شفيع السيد، ود/ سعد مصلوح، صـ٢٣٢، الناشر/ دار غريب ٢٠٠٥م.

(٢) ديوان الشعلة، تأليف/أحمد زكي أبو شادي، صـ٩، ١٠، الناشر/ مؤسسة هنداوي، بدون طبعة =

لذا تنوعت أشكال المناجاة في ديوانه، ولم تقتصر على مناجاة الله –عز وجل- كما كانت قديمًا، بل اكتسبت صورًا عدة، وأشكالًا جديدة، ومن أهم صورها في ديوانه ما يأتي:

**أولاً: مناجاة الله:**

في مناجاته لله –عز وجل- نلحظ أنه قبل أن يتضرع، ويتوجه إلى الله بالشكوى، يصرح لنا بأنه ناجى ربه، فنراه يقول(١):

| | |
|---|---|
| وأنا العبد الذي ناجى الإله | ورأى رؤيا عيان منتهاه |
| ورأى ألف ذنوب وعذاب | ورأى الغفران من بعد الحساب |
| ورأى المعبد في رقعة أرض | ورأى الجنة في لمحة غمض |
| ورأى الثأر من الدنيا بنال | ورأى الإحسان معنى للجمال |

ففي هذا المقطع يبوح لنا الشاعر بأنه ناجى ربه، وأنه رأى أخراه كما رأى دنياه، ورأى ذنوبه الكثيرة أمامه، إلا أنه زفر بالغفران.

كما أنه رأى بيت الله على الأرض، ورأى الجنة، وأدرك في النهاية أن الإحسان في الدنيا هو المعنى الحقيقي للجمال الذي ينبغي أن يطلبه الإنسان.

فالشاعر هنا في اعتقادي مارس المناجاة أولاً في معناها الديني، الذي كانت عليه عند الصوفية، قبل أن ينتقل ويجعلها أداة من أدوات التعبير عن تجربته.

لذا نجد الشاعر قد استعان بالصور الكنائية في قوله: (ورأى ألف ذنوب)؛ وذلك ليبلغ البعد الحسي، للدلالة على كثرة ذنوبه، التي يشعر أنه مثقل بها.

فعاطفة الشاعر هنا عاطفة جياشة كشفت للمتلقي مناجاته لربه، كما توحي

---

وتاريخ.

(١) ديوان الشعلة، ص٤٩، ٥٠، والأبيات من قصيدة بعنوان: (الزائرة) ومطلعها:

أجمال الوهم أم مرآك أنت *** ورؤى الدنيا أم الأخرى أنبتِ

للشاعر بالتفاؤل والأمل، فعبرت عن مقصوده بأناة وعمق.

كما أن اعتماده على الأسلوب الخبري؛ لأنه يريد أن ينقل لنا مشاعره، وما يؤرقه من حزن، فهي حقائق راسخة ثابتة في فكره.

ثم انتقل الشاعر لجعل المناجاة أداته للتعبير عن مكنونه النفسي، مستخدمًا (النداء)، فنراه وهو يناجي ربه مناديًا له نداء الضعيف للقوي، يبثه شكواه، ويعتصم بذاته العليا عما يحيط به من كربات، فها هو يقول[1]:

يـا مُجْهِـري أنـت عـوني ... إذا جفـاني لِـداتي[2]

إليـك ملجـأ همـي ... فأنـت قاضـي القضـاة

إذا حكمـت فحكـم ... مـن عـالم الغيـب آت

فهنا يلجأ الشاعر لله –عز وجل- وينادِيه، ويؤكد بأنه ملجؤه الوحيد، ومعينه عندما يجفوه أصدقاءه، فهو ملجأ همه، وقاضي قضاته، إذا حكم فحكمه آتٍ ونافذ.

فالمخاطب هنا الله –عز وجل- لكن الشاعر كنى عنه بلفظ (مجهري)؛ ليبين أن الله هو الوحيد الذي يناديه بأعلى صوته، ويجهر بذلك دون خوف من أحد، فالآلام والآهات عندما تشتد عليه، ويستبد القهر بذاته، لم يجد إلا الله الذي يناديه بكل قوة، ويجهر بذلك دون خوف؛ لينفس عن نفسه ما يجول بداخله.

كما أن اختيار الشاعر لألفاظ (جفاني، وهمي)، تدل على أنه يعيش حالة من القهر تملأ نفسه همًا وحزنًا.

---

(١) ديوان الشعلة، ص٨٤، والأبيات من قصيدة بعنوان: (صديقان)، ومطلعها:

ولي صديقان مهما هفوت صدّا عُداتي

(٢) **لِداتي:** الأصل: لدتي، ولدتي ولداتي واحد، ومعناه: المساوي له في سنه. (ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناي تأليف/ أبو بكر الأنباري (ت:٣٢٨هـ)، ت.د/ حاتم صالح الضامن ١/ ٣٣٩، ط١: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، الناشر/ مؤسسة الرسالة- بيروت.

**ثانيًا: مناجاة الذات:**

لقد اتجه الشاعر في ديوانه إلى نفسه، وناجاها، وحاورها بما يغشاه من هم وحزن، فها هو يقف أمام نفسه قائلًا[1]:

أبليت أنفس أعوامي على حَرَق ... فما حياتي بقلب جد محترق

ما كان يومًا ليرعاني ويرحمني ... فعشت مثل أسير اليم في قلق

مكافحًا وهو في أمن يخال به ... وكل يوم له لون من العرق!

ماذا استفدت وما جدواه من شجني ... ومن عناء بلا حد ولا رمق؟

في هذه الأبيات يتوجه الشاعر لنفسه، ويبين موقفه تجاه ذاته، التي أهلكها همًا وحزنًا، وكأنه يرثيها، ويشفق عليها، ويبكي عمره الذي أفناه يومًا تلو الآخر، بلا فائدة، ولا جدوى من هذا العناء، وهذا الحزن.

هذه الأبيات تفصح عن حزن الشاعر، الذي لم يجد له منفسًا في شعره إلا مناجاته لنفسه، هذا الحزن الذي أفصح عنه بألفاظ: (محترق، أسير، قلق، الغرق، شجني، عناء، رمق)، فكلها تدل على الحزن المسيطر عليه.

كما وظف الشاعر في أبياته (الكناية)؛ لتوضح وتبرز حالة الهم التي يعانيها، وذلك في قوله: (أسير اليم)، فهي كناية عن الهم والقلق المسيطران عليه.

ثم انكب الشاعر كعادة الرومانسيين، وهو واحد منهم علي نفسه يناجيها، ويلومها، ويعنفها على تقصيرها، وقد أفصح عن ذلك الاستفهام، وذلك في قوله: (ماذا استفدت، وما جدواه من شجني).

ثم نجده في موقف آخر يناجي نفسه، فيقول[2]:

قطيعيني رحمة ثم ادفنيني ... إنما التشريد تعذيب الغبين

(١) ديوان الشعلة، صـ١٩، والأبيات مطلع قصيدة بعنوان: (الشعاع الضائع).

(٢) ديوان الشعلة، صـ٢٥، والأبيات مطلع قصيدة بعنوان: (الشريد).

همتُ في الدنيا على وجهي أنادي ... بفؤاد يشتفي من كل واد
فأبى الحرمان حتى رجع صوتي ... وتماديت بهجر فات موتي
رب موت هو نُعمى لا تنال ... كم تمناها فؤادي في الخيال

في هذه الأبيات يخاطب الشاعر ذاته، ويأمرها بأن تقطعه رحمة به، وتدفنه؛ وذلك بعد أن هام في الدنيا يبحث عن شفاء لروحه المكلومة، فلم يجد غير الحرمان والهجر، وفي النهاية لم يجد غير الموت الذي أصبح أمنيته الوحيدة التي تمناها كثيرًا، ولم ينالها.

بدأ الشاعر الأبيات بصيغة الأمر في قوله: (قطعيني رحمة، ثم ادفنيني)، فهو يأمر نفسه بأن تقطعه وتدفنه؛ وذلك بعدما تجرع مرارة البعد والتشرد، فإحساس الشاعر بالظلم والقهر داخل وطنه، يشعره بالغربة والحرمان، وعدم الرغبة في الحياة.

ثم يلجأ الشاعر للتشخيص؛ محاولة منه في بث روح الحركة على الأبيات، ولتؤدي غاية في نفسه، وذلك في قوله: (فأبى الحرمان، ورجع صوتي)، ففي الحرمان، والصوت استعارة تشخيصية؛ أراد منها الشاعر أن يبرز حالة القهر التي يحياها.

ونراه في موقف آخر يناجي جسمه العليل، راضيًا بهّم مرضه؛ وذلك لأن حزنه لمرض جسده أهون عليه من حزنه لهّم يسكن قلبه، فنراه يقول(١):

عِشْ أنت يا جسمي العليل فإنني ... راضٍ بهمي فيك أو آلامي
ليكن سقامك كالغذاء لمهجتي ... فإذا ظفرت بها رضيت سقامي
والنفس إن سلمت بقاتل ... ضيم الحياة وقسوة الأيام
فالنور يشتمل الجمال وضده ... ويغيب وهو هو الطهور السامي

فالشاعر في هذه الأبيات يناجي جسمه وينادي، وكأنه شخص أمامه، ويخبره بأنه راضٍ بهمه بسبب مرضه، فعسى أن يكون هذا المرض غذاء لروحه المكلومة، فإذا نالت

(١) ديوان الشعلة، ص١١٣، والأبيات مقطوعة بعنوان: (شعاع النفس).

روحه الغذاء جعله هذا راضيًا بسقم جسمه.

ثم يوضح لنا الشاعر سبب رضاه بسقم جسمه، بأن نفسه إذا سلمت رغم مرض الجسد فلم بقتلها ظلم الحياة، ولا قسوة الأيام، وفي النهاية يؤكد بأن النور في الحياة يشمل الجمال والقبح، وأحيانًا يغيب رغم أنه الطهور السامي لكل شيء.

لقد اعتمد الشاعر على التشخيص في هذه الأبيات، فشخّص جسمه، وكأنه إنسان أمامه يناجيه، وينادي عليه، ويحدثه بما يريد.

كما جعل أبياته هنا تنقسم إلى حقلين دلاليين، الأول: المرض، وذلك في ألفاظ: (العليل، آلامي، قاتل)، والثاني: حقل الصحة، وذلك في ألفاظ: (كالغذاء لمهجتي، سلمت، الطهور)، وهذا ما ينبيء عن نفسية الشاعر، ويوضح مراده، ويكشف للمتلقي قدرته الإبداعية في الصياغة الفنية للأفكار.

كما أن اختياره لحرف الروي (الميم)، يدل على تبرم الشاعر من الهم والحزن، وتفضيله لعلة الجسد عليهما، فضلًا عن حرف المد الذي تلا الروي، مما يضفي إيقاعًا يناسب الحال الذي عليه الشاعر.

إن مناجاة الشاعر لذاته، ومخاطبتها ما هو إلا محاولة منه للتخفيف عن نفسه ما ينوء بها من حزن، وما يسيطر عليها من هم، مما جعله يفضل الوحدة والانطواء على ذاته.

### ثالثًا: مناجاة الغير (ظاهرة التجريد):

وذلك عندما يأتي الشاعر بكلام يكون ظاهره إخلاص الخطاب لغيره، وهو يريد به نفسه، فكأنه جرد الخطاب عن نفسه وأخلصه لغيره[1].

لقد أكثر الشاعر في ديوانه من التجريد، فكثيرًا ما جرد من نفسه أشخاصًا وناجاهم بخواطره النفسية.

---

(١) ينظر: المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (ت:٦٣٧هـ)، تحقيق/ أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ٢/ ١٢٨، الناشر/ دار نهضة مصر للطباعة، (بدون طبعة وتاريخ).

فها هو يستبد به القهر، ويغشاه الحزن، فيجرد حزنه عن طبيعته، ويجعله كائنًا حيًا يناجيه، فيقول(١):

فيـا حـزن قلـب كالغريـب بعـالم ... غـريب لأهليـه الأبـرين والآل
دفنـت أسـيفًا عزمـتي ومـواهبي ... لـدن عـدَّ مـن ذنـبي همـومي وأعمـالي
وحيّـا أخلائـي جهـودي ومـا دروا ... جهـودي الـتي ماتـت لحزنـي وإقلالي

هنا يناجي الشاعر الحزن الذي يسكن قلبه، ويعيش فيه كالغريب، ولم يكتف بذلك، بل قام بدفن ما يتمتع به من عزيمة ومواهب، وأبدلهما همومًا وأحزانًا، حتى جهوده التي كان يحييها أصدقاؤه ماتت بسببه.

أول ما يستوقفنا تشبيه الشاعر حزن قلبه بالغريب، في قوله: (فياحزن قلب كالغريب)، تشبيه يوضح المعنى، فلا أحد يرضى بسكن الحزن داخله، وإن سكن فهو كالغريب الساكن رغمًا عن صاحبه.

وفي قوله: (دفنت أسيفا عزمتي ومواهبي)، فضلًا عن التشخيص الواضح، ففيه كناية عن الإحباط واليأس المسيطران عليه.

كما أن الألفاظ التي استخدمها تبرز ما يعاني به من حزن، وذلك في: (حزن، ودفنت، وهمومي، وماتت).

ثم نراه يناجي قلبه المهموم، قائلًا(٢):

فيا قلب ذب أو لا تذب ملء حسرة ... لكـل ممـات فـي الوجـود نشـور
تشابه عندي العدل والظلم للورى ... كمـا تتجلـى فـي القصـور قبـور

فالشاعر لما استبد به القهر، جرد قلبه من طبيعته وجعله كائنًا حيًا يناجيه،

(١) ديوان الشعلة ص٣١، والأبيات من قصيدة بعنوان: (موت وحياة)، ومطلعها:
أهاج دوي البحر صرخة آمالي *** وبدد أحلامي وبلبل بلبالي
(٢) ديوان الشعلة)، ص٨٦، والأبيات من قصيدة بعنوان: (الشكوى)، ومطلعها:
لمن ترفع الشكوى إذا الناس كلهم *** صغير ومن يُشْكى إليه صغير

ويأمره بأن يذوب، أو لا من الحسرة التي ملأته، وأخبره بأنه لو مات فإن الموت بعث ونشور. ثم يخبرنا بأنه لجأ لذلك؛ لأنه تشابه عنده العدل والظلم، مثلما يرى القبور ممثلة في القصور أمامه.

جاء النداء والأمر في الأبيات مقرونًا بالتعجب؛ وذلك لجذب انتباه المتلقي لما يلقى عليه.

كما استعان الشاعر بالتضاد؛ ليوضح المعنى ويقويه، وذلك بين: (ممات ونشور، والعدل والظلم).

وفي قوله: (تشابه عندي العدل والظلم)، تصوير يبين حالة اليأس المسيطرة عليه.

ونراه في موقف آخر يناجي الحب، ويجرد منه كائنًا عاقلًا، فيناجيه قائلًا[1]:

| | |
|---|---|
| يـــا حـــب مالـــك لا تـــدين بأمـــة | أبـــدًا ومالـــك لا تـــدين بـــدين |
| ســاويت بــين النــاس حــتى أصــبحوا | لـــك كالرعايـــا فـــي مُـــنى وأنـــين |
| وتُعــدُّ في الأربــاب حــتى نــراك فــي | قلـــق علـــى قلـــق وحـــظ غبـــين |

الشاعر هنا يخاطب الحب، وكأنه شخصًا يسمعه، ويوضح له بأنه هوى أمامه؛ لأنه لا يدين بأمة ولا بدين، كما أنه ساوى بين الناس جميعًا، وفي النهاية يخبره بأنه أصبح والجميع يرونه في قلق على قلق، وحظ غبين.

أول ما يلفت انتباهنا في الأبيات استخدام الشاعر للنفي في قوله: (لا تدين بأمة...)، ولم يكتفِ بالنفي، بل قيده بلفظ (أبدًا)، فهو يريد أن ينفي عنه الفعل نفيًا أبديًا، وهذا مما يزيد كلامه تأكيدًا.

ثم يأتي بالتشبيه الذي يزيد الصورة وضوحًا، وذلك في قوله: (كالرعايا)، فقد شبه الناس بالرعايا في نظر الحب؛ لعدم تفريقه بينهم في المعاملة.

---

(١) ديوان الشعلة ص٨٩، والأبيات مقطوعة بعنوان: (البوهيمي).

وتظهر على الشاعر عاطفة التوتر والقلق، وذلك في قوله: (قلق على قلق وحظ غبين)، ما يكشف لنا عن حالته النفسية المقهورة حتى في الحب.

ويعود ليناجي قلبه مرة أخرى، ويستنجد به ليخرجه مما هو فيه، فيقول[١]:

يـا قلـب مـا أنـت إلا طـائر غـرد ... نشـأتَ في السجن تبكي عمرك الباقي
يكفيـك وجـد دفـين أنـت حاملـه ... ياواعيًـا كـل أسـراري وأشـواقي
فـلا تـدعني أنـاجي مـوطني حَرَقًـا ... مـن بعـد مـا قـد رأى صـلبي وإحراقي

من يقرأ الأبيات الثلاثة السابقة يتضح له كيف استبد الظلم بالشاعر داخل وطنه، فبكاه وشخص قلبه الحزين أمامه، ليناجيه ويحدثه عن حاله الذي أصبح عليه، فما هو إلا طائر يعيش داخل وطنه في سجن، يبكي عمره الباقي له، ويشفق على قلبه بما هو حامله من شوق لوطنه؛ لأن هذا القلب هو أعلم الناس بأسراره.

وأخيرًا يطلب من قلبه بألا يدعه يناجي وطنه بتلك الحرقة التي يشعر بها؛ وذلك لأن هذا الوطن لم يشفق عليه عندما رضي بصلبه وإحراقه.

إن إحساس الشاعر بالقهر داخل وطنه شكّل صراعًا داخليًا عنده، أعطاه جرأة للتخلص مما ينوء به من حزن دفين؛ لذا طلب من قلبه أن يعينه على ذلك، يظهر ذلك في قوله: (يكفيك وجد)، والنهي في قوله: (فلا تدعني).

كما في استعماله للفظ (السجن) هنا، رمز لحالة القهر التي يعيشها داخل وطنه.

وفي قوله: (تبكي عمرك الباقي)، كناية عن استمرار حالة الحزن التي يعيشها، فهو يشعر بأنه لا انفكاك عنها.

ويستمر الشاعر في رغبته في التخلص من الحزن، فيناجي قلبه مرة أخرى، وينادي بلفظ (الفؤاد)، فيقول[٢]:

(١) ديوان الشعلة صـ١١٧، والأبيات من قصيدة بعنوان: (الضاحك الباكي)، ومطلعها:
أبكي على وطني العاني وإن سَخِرَتْ *** نفسي بنفسي فإني الضاحك الباكي
(٢) ديوان الشعلة صـ١١٨، والأبيات من قصيدة بعنوان: (قيثارى)، ومطلعها:
=

| | |
|---|---|
| فيا فؤادي تشجع ولتذب نغمًا | فيه الوداع لدنيا الحرب والثار |
| عشْتَ المرجَّى لفن فلتمت مثلًا | للفن ما دمت في الحاليين قيثارى |
| وربما آهة أرسلتها ولها | تفردت بحياة بين أشعاري |
| يا خافقًا بمعان كلها شجن | هوِّن عليك وبح حرًا بأسراري |
| فيم التكتم والأيام قد نفدت | وما بقاياك إلا بعض آثار |
| كأن صدري غدا لحدًا أضمِّنُه | ذكرى السنين وأحلامي وأوطاري |

يناجي الشاعر هنا قلبه وينادِيه بلفظ (الفؤاد)، ويطلب منه أن يتشجع،

ويودع تلك الحياة التي لا ينعم فيها، وإن لم يستطع الموت فيكفي التنفيس عن حزنه بآهات يرسلها، فلا يكتمها، بل يهون على نفسه.

ثم يخبره بأنه لا داعي للتكتم؛ لأن العمر يمضي، والأيام تنفذ، فكأن صدره الذي يحمله أصبح قبرًا يضم داخله ذكريات وأحلام.

أول ما نلحظه في الأبيات لفظ (يافؤادي)، فقد شخص الشاعر الفؤاد، وناداه نداءً غرضه التحسر.

كما نلاحظ كثرة أفعال الأمر في: (تشجع، لتذب، فلتمت، هون، بح)، فهي أفعال أمر خرجت من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي، وهو التمني، فالشاعر يتمنى لو يذوب فؤاده أو يموت؛ لكي يتخلص مما هو فيه.

كما نلاحظ التشبيه في: (كأن صدري غدا لحدًا) شبه صدره باللحد، وهذا لتوضيح حالة الضيق التي يعيشها، والتي أجبرته على الرغبة في الخلاص.

هكذا جرد الشاعر من نفسه أشخاصًا وناجاهم؛ رغبة منه في التعبير عن حالة القهر التي يعيشها.

---

قد حطم الدهر قيثارى فما تركتْ *** أحداثه غير فرد بين أوتاري

**رابعًا: مناجاة الطبيعة:**

لجأ الشاعر لمناجاة الطبيعة؛ وذلك كنوعًا من التخفيف، فهي تعتبر بالنسبة له ولكل الرومانسيين الملاذ الوحيد، فقد شخصوا الطبيعة وناجوها، ولجؤوا إليها وقت الأزمات(١).

فها هو يناجي الموج قائلًا(٢):

فيا موج مُتْ حولي فموتك راحة ... وموتك مرآة لموتي وإذلالي
وإن كان لي في الفكر دنيا جديدة ... تعالت عن الدنيا بإحساسها العالي
غنمت بها روح الجمال التي سمت ... عن الجسم واستولت على حبي الغالي

فالشاعر هنا بعد ما هيج دوي البحر صرخة آماله، استوقف موجه وشخصه وناجاه، وأمره بالموت، ففي صوته راحة له، فإن كان في فكره دنيا جديدة يريدها فهي دنيا تسمو عن الدنيا التي يعيشها، تلك الدنيا التي ينعم بها بروح الجمال، الجمال الذي يسمو عن جمال الجسم، ويستولي على حبه.

فالأمر هنا في قوله: (مت) الغرض منه التمني، فالشاعر يتمني الموت للموج، فلا يمكن أن يكون الأمر على حقيقته، فليس بإمكان الموج وهو غير عاقل أن ينفذ هذا الطلب.

وفي قوله: (إن كان لي في الفكر دنيا) فإن (إن) هنا نافية، لدخولها على الفعب الماضي، وكأن الشاعر ينفي حدوث الفعل في الماضي.

كما استخدم لفظ (غنمت) بدلًا من (حصلت أو فزت أو غيرها)؛ وذلك ليدل على أن الفوز بالدنيا التي يتمناها هو فوز بغير مشقة، فهو كالغنيمة التي يسعد بها الإنسان ويملكها دون مشقة.

---

(١) ينظر: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر) د/نسيب نشاوي، صـ١٥٨.

(٢) ديوان الشعلة صـ٣١، والأبيات من قصيدة بعنوان: (موت وحياة)، ومطلعها:

أهاج دوي البحر صرخة آمالي ** وبدّد أحلامي وبلبل بلبالي

إن رغبة الشاعر في موت الموج الذي هو موت له، إنما كان لضيقه وحزنه، وإحساسه بالقهر في الحياة التي لا يشعر فيها بحريته وكيانه.

ثم نراه يناجي طائرًا طار عن وكره، فيقول[1]:

أيهـا الطـائر عـن وكـري الحبيـب ... أيهـا التائـه عـن ليـلِ الغريـب

أنـا فـي بعـدك فـي سكـر وتيـه ... شـدّ مـا ألقـاه مـن قلـبي السـفيه!

تُظلـم الـدنيا لعينـي حـين عيـني ... تخطـف الأضـواء مـن لـون ولـون

وتـرى فـي بُعـدك اللـذات وهْمـاً ... بعـدما كانـت تـرى الأوهـام نُعـمى

فالشاعر هنا يناجي طائرًا طار عن وكره وتركه، فأصبح هذا الطائر تائهًا في ليل غريب، وأصبح هو لبعده عنه في سكر وتيه، فقد غاب عقله وصعب عليه ما يلقاه من قلبه، وأظلمت الدنيا أمامه، وغابت عنه لذات الحياة، التي كان ينعم بأوهامها مع وجوده.

في الأبيات ناجى الشاعر الطائر وناداه بغير (الياء)، مستعملًا أداة النداء (أي)، فقد أنزل الطائر البعيد منزلة القريب؛ وذلك لإحساسه بقرب هذا الطائر من قلبه، وحضوره في ذهنه، فكأنه واقفًا أمامه يناجه ويحدثه عما يعانيه.

كما نلاحظ تكرار الشاعر للنداء؛ وذلك للتنبيه، فكأنه يناجي عاقلًا، ويريد منه الانتباه لما يلقيه عليه.

كما عبر بلفظ (وكري) مستخدمًا (ياء) الملكية، دون (وكرك)، فالمخاطب الطائر فهو من يسكن الوكر؛ وذلك لإحساسه بالقرب الشديد بينهما، فكأنه يشاركه المسكن كما يشاركه الإحساس.

ثم نجد الكناية في قوله: (أنا في بعدك في سكر وتيه)، فهو كناية عن غياب عقله، بسبب الحزن المسيطر عليه بسبب غياب الطائر، وفي هذا مبالغة من الشاعر.

---

(١) ديوان الشعلة صـ٤١، والأبيات من قصيدة بعنوان: (الطائر التائه).

ثم يأتي التشخيص في قوله: (تظلم الدنيا، تخطف الأضواء)، فالشاعر يشخص ويجسد لنا حالة الحزن التي يعيشها.

إن إحساس الشاعر بالقهر داخل وطنه، جعله يعيش حالة من التيه والتشرد، جسد لنا تلك المعاناة من خلال الصورة التي رسمها وهو يناجي الطائر الذي يشاركه نفس الحالة.

ونراه وهو يناجي بلبلًا، فيقول(١):

| | |
|---|---|
| يـــا بلبلـــي الســـاحر لا تنســـي | إن كنـت مـن ينسـي حزينًـا هـواك |
| أشـــبعت أنفاســـي هـــواك الـــذي | قـد صـار مـن روحي وروحي فـداك |
| لـــو كنـــت تـــدْري أن لفظًـــا لـــه | حـــلاوة الشـــوق ونجـــوى الغـــرام |
| قـد صـار عنـدي مثـل وصـل المـنى | رأيـت هـذا الصـمت نحـوي حـرام |
| يـــا بلبلـــي الساحـــر لا تكتئـــب | واجعـل حنيـني يـا حبيـبي رضـاك |

في الأبيات يناجي الشاعر البلبل الساحر، مناجاة كلها شجن، طالبًا منه ألا ينساه، حتى وإن كان ممن ينسى حزينًا هواه؛ وذلك لأن حبه ملء قلبه، وملك روحه، وأصبح يفتديه بروحه.

ثم أخبره بأن صوته عنده مثل وصل المنى، حتى أصبح صمته حرام عليه، ثم يعود ويناديه –مرة أخرى- طالبًا منه آلا يكتئب، فإن حنينه له يكفي لرضاه، وعدم اكتئابه.

بالنظر في الأبيات نجد أن حب الشاعر لهذا البلبل الذي ملك عليه قلبه، قد رمز من خلاله إلى ذاته، التي تهوى الشعر، هذا الهوى هو الذي خفف عنه ما ينوء به من أحزان، وما يشعر به من قهر، فبدونه يفقد تلك الحياة المأساوية.

(١) ديوان الشعلة صـ١٣٧، والأبيات من قصيدة بعنوان: (البلبل الصامت)، ومطلعها:
مَنْ عَلَّم البلبل هذا السكوت *** أسكت البلبل حَزُّ الألم؟

**خامسًا: مناجاة الزمن:**

لقد ناجى شاعرنا الزمن، فالزمن بمروره وتقلباته يشحن العواطف ويثيرها، ويبعث على الهم، والإحساس بالقهر.

فها هو يناجي الزمن قائلًا[1]:

| | |
|---|---|
| يـــا ليلـــة الكَزِنـــو وعيْتُـــك نعمـــة | وحفظـت في قلبي الشـجي نـداك |
| في هـــذه الســـاعات أعمـــار الهـــوى | فـإذا مضـت عشـنا ببعـض منـاك! |
| هـــذي المـــنى والـــذكريات وجـــودنا | ولـــو أنَّ أهـــل الحـــب رهـــن هـــلاك |
| عاشـوا على الأخطـار حـتى صـفوهم | خطـرُ، وحـتى الأمـن بـين شـراك |

يناجي الشاعر ليلة الكزنو، ويجعل نداءه لها نوعًا من تخفيف الألم عن قلبه الذي يعاني الحزن، فهو يعيش على مناها، فمناها عنده نوعًا من الحياة، حتى الأمن الذي يطلبه في الحياة، ويطلبه ممن يعيشون في الأخطار موجودًا بين جنباتها.

لعل إحساس الشاعر بالقهر والضياع هو الذي دفعه لمواجهة هذا العالم بليلة يتمناها في هذا المكان المشبوه، فقد اعتبرها نوعًا من التخفيف عن ذاته، حتى وإن كان فيها مخالفة دينية.

كما أن التشخيص هنا وضّح الصورة، فقد شخص الزمن وناجاه، محاولاً التخفيف عن نفسه.

كما أن اعتماده على أساليب الشرط في قوله: (فإذا مضت عشنا...)، وقوله: (ولو أن أهل الحب...) ما هو إلا وسيلة من وسائل الشاعر لإقناع المتلقي، وللتأكيد على حزنه المستمر الذي يتمنى لو يخففه بليلة يتمناها في الخيال.

ثم تأتي الأضداد بين: (وجودنا وهلاك، والأخطار والأمن)، لتوضح وتؤكد على

---

(١) ديوان الشعلة ص٢٧، والأبيات من قصيدة بعنوان: (الرشاقة)، ومطلعها:
قل للرشاقة: هذه مرآك *** رقصت على الأزهار والأشواك

تقلبات الزمن التي تغير الحال، وتبعث على الحزن.

وفي موضع آخر نشعر بإحساس الشاعر بالقهر، مما جعله يشكو الزمن الذي يعيشه، فيناجيه قائلًا[1]:

قد كنت أُصغر من يشكو الزمان، فما أصبحت أُكبر إلا كل محزون
ساوى الزمان أحبائي وآصرتي بمن يروم هوائي أو يجافيني

فيا لضيف أقمنا عند ساحته على الولاء فكنا كالمساكين
فيا لدنيا يسوء الناس بعضهمو بعضًا ليلهوا وهم بعض القرابين

في الأبيات نرى كيف تغير حال الشاعر وتبدل، فبعدما كان يحتقر من يشكو من الزمن، أصبح هو يشكوه، ويحزن لتقلباته، فقد تساوى عنده الناس جميعًا لا فرق بين قريب أو بعيد، ولا بين حبيب أو عدو.

ثم يناجي هذا الزمن وينادي بلفظ: (الضيف) الذي أقام عنده، ووقف ببابه هو وكل البشر كالمساكين، ثم يعمم نداءه للدنيا كلها فقد أصبحت مكانًا بغيضًا لكل الناس لا يوجد فيها غير الإساءة والأذى حتى من القرابين.

إن شكوى الشاعر من الزمن في الأبيات ما هي إلا صرخة منطلقة من مشاعر وأحاسيس مكبوتة تجاه ما ساد في المجتمع من فوضى واعتداء على الحقوق، فكلما زاد ظلم الإنسان زاده هذا حسرة وشكوى من الأيام، الأمر الذي دفعه للتنفيس عن تلك الأحاسيس بتلك الأبيات.

وتتجسد مشاعر الشاعر بوضوح في تلك الكناية التي استعان بها في قوله: (فيالضيف)، فقد كنى عن الزمن بالضيف، كناية عن سرعة انقضائه.

ثم يأتي التشبيه ليزيد من وضوح الصورة، ويرسم حالة القهر التي يعيشها، وذلك

(١) ديوان الشعلة ص٣٥، والأبيات من قصيدة بعنوان: (بعض القرابين)، ومطلعها:
غُضِّي أماني العلى عني وعاديني ** فاليوم ينكر سمعي من يناديني

في قوله: (كالمساكين)، فقد شبه نفسه ومن يعيشون في هذا الزمن بالمساكين، فلنتخيل هنا حالة الذل والانكسار، والشعور بالتعسف والحرمان.

لقد ناجى الشاعر زمانه بعدة مسميات، فمرة ناجاه بالزمن، ومرة بالضيف، ومرة بالدنيا، وهذا مما ينبيء عن حالة الألم التي يعيشها تجاه هذا الواقع المؤلم، كما ينبيء عن قلقه واضطرابه تجاه أحداثه.

وفي موضع آخر نشعر بإحساس الشاعر بالقهر تجاه العدو المحتل، وذلك عندما ناجى يومًا من أيام الزعيم "سعد زغلول" التي نادى فيها بالاستقلال، فنراه يقول[١]:

يايوم "سعد" أعد لنا استقلالنا ** هو وحدة القُوَّاد[٢] والأحلام

يناجي الشاعر هنا يومًا ويخصصه بيوم من أيام الزعيم "سعد" ويأمره بأن يعيد لنا الاستقلال، هذا الاستقلال الذي دومًا ينادي به الرؤساء والقادة، لا مجرد أحلام.

إن إحساس الشاعر بالقهر هو الذي جعله يشعر بقيمة هذا الاستقلال الذي نادى به الزعيم "سعد" فتمناه ونادى بعودته بهذا البيت الذي يحمل الكثير من الرؤي الوجدانية العميقة التي كانت تشغل أمة بأكملها في الماضي.

هكذا جاء الزمان رمزًا للإفصاح عن إحساس الشاعر بالقهر، ودلالة على رفضه للواقع الذي يعيشه.

---

(١) ديوان الشعلة صـ١٠٦، والأبيات من قصيدة بعنوان: (ذكرى سعد)، ومطلعها:

تترد الذكرى وأنت إمام *** لا العم خاذلها ولا الأعوام

(٢) **القُوَّاد:** هو قائد بيّن القيادة، وهو من قواد الخيل، يقال: أقاده خيلًا: أعطاه إياها يقودها. (ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) ت/ مجموعة من المحققين، ٧٦/٩، (مادة:قود)، الناشر/ دار الهداية (بدون تاريخ)، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحًا د/ سعدي أوحبيب صـ٣٠٩، ط٢: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر/ دار الفكر-دمشق.

**سادسًا: مناجاة المكان:**

إن إحساس الشاعر بالقهر داخل وطنه هو ما دفعه للهجرة بعيدًا عنه، ولكنه رغم ذلك لم ينفك عنه بل ناجاه مناجاة مأساوية، بثه من خلالها آلامه وأحزانه، فلم ينقطع عنه روحانيًا، رغم بعده عنه جسديًا.

فها هو يناجي وطنه قائلًا[1]:

يا مصر يا وطني الباكي في الأســـلاك
لِمَنْ بُكاك ونجـواكِ؟ هـل عـــاداك
إلا بنـــــــوكِ وأهلـــــــوك؟

في الأبيات يناجي الشاعر "مصر" وطنه الباكي، ويتساءل عمن كان سببًا في بكاه ونجواه، ولكنه تراجع عن السؤال، ليأتي باستفهام الغرض منه التعجب، فهو يتعجب من أهله وبنوه فهما السبب في بكائه.

تتجسد في الأبيات مشاعر الحب للوطن، وذلك من خلال تكرار النداء في: (يا مصر يا وطني)، فما هذا إلا دليل على حب الشاعر الشديد لوطنه.

ثم يأتي الشاعر بأداة الاستثناء "إلا"؛ للتأكيد على أن أبناء الوطن هم السبب في بكائه، ولا يكون هذا إلا لتقصيرهم في الدفاع عنه.

إن تجسيد الشاعر لبكاء الوطن، نابع من عاطفة وطنية صادقة نابعة من صميم حزنه، وإحساسه بالقهر داخل وطنه؛ لذا جاءت ألفاظه ملونة بلون عاطفته، مثل: (الباكي، بكاك، نجواك، عاداك).

ونراه –أيضًا- يناجي وطنه بأبيات مشحونة بالألم والشجن، فيقول[2]:

---

(١) ديوان الشعلة صـ٩١، والأبيات مطلع قصيدة بعنوان: (لهفة).

(٢) ديوان الشعلة صـ١١٧، والأبيات من قصيدة بعنوان: (الضاحك الباكي)، ومطلعها:
أبكي على وطني العاني وإن سَخِرت *** نفسي بنفسي فإني الضاحك الباكي

| | |
|---|---|
| يـا موطنًـا كـل مـا فيـه يؤرقنـي | وكـل مـا فيـه أتراحـي وآلامـي |
| مـن حـرّم اللحـن للصـداح في زمـن | أحـق أن يتهـادى بـين أنغـام؟ |
| ومَـن رأى أن هـذا النـور منقصـة | وأنّ حـقّ الـورى أضـغاث أحـلام؟ |
| ومـن أبـاح لأصـنام مجـردة | ذُلّ الجبـاه كأنـا دون أصـنام؟ |

في الأبيات الأربعة سالفة الذكر يناجي الشاعر وطنه مناجاة الغريب عنه، وهو يعيش فيه، ولكنه عيش شقاء وأرق، وما ذلك إلا لإحساسه بالاضطهاد والتضييق عليه؛ لذا نراه يتساءل عمن حرم اللحن للصداح، ومَن رأى النور منقصة، ومن أباح لأصنام أن تذل الجباه.

إن حالة الاضطهاد التي يعيشها الشاعر داخل وطنه، هي التي دفعته إلى ندائه بتلك الصيغة المنكرة (ياموطنًا)، فهو منادى نكرة غير مقصودة، منصوب بالفتحة، ولو كان مقصودًا لبناه على الضم؛ وما ذلك إلا لأثر عميق داخل نفسه.

ثم يأتي بأكثر من استفهام، ولكنه لا يريد منه جوابًا، فهو في مناجاة، ولكنه يحاول أن يجد خلاصًا وخروجًا من حالة الضيق والاضطهاد التي تسكن روحه، فهو كالغريب المحاصر داخل وطنه، وما أصعبه من إحساس.

هكذا جاءت مناجاة الشاعر للمكان تصويرًا لنفسيته المقهورة، المضطهدة داخل وطنها، تلك الغربة النفسية التي عانى منها الشاعر، فأرقت روحه، ودفعته للمناجاة.

**وأخـــيرًا:**

فقد لاحظنا كيف انعكس إحساس الشاعر بهموم واقعه على شخصيته الفنية، فجعل من نفسه ومما حوله أطرافًا أخرى يحاورها؛ ليكشف لنا عن الآمه وطموحاته، على نسقه المعتاد في بناء قصائده المرسلة، والتي ينطلق من خلالها بتجربته الفنية لا تقيده قيود.

كذلك نجده انطلق بلغة سهلة واضحة، حفلت بالكثير من الصور البلاغية والمحسنات البديعية، المستوفية للفكرة التي يريد إيصالها للمتلقي بكل صدق.

## خاتمـــــة:

الحمد لله الذي بفضله أنهيت دراستي هذه، والتي تناولت من خلالها ظاهرة المناجاة في ديوان الشعلة، والتي كشف لنا الشاعر من خلالها عن قهره ومعاناته، والتي دفعته للتعبير والتخفيف عما ينوء به عن طريق تلك الظاهرة الفنية.

**هذا: وقد توصلت بعد تلك الدراسة إلى مجموعة من النتائج هي كالآتي:**

- جاءت المناجاة عند الشاعر انعكاسا لما يعانيه من قهر وظروف قاسية تعرض لها، كما تعرض لها الكثير من شعراء جيله.

- أصبحت المناجاة طريقة فنية تميز بها الشاعر، إلى جانب أدواته الفنية، فكانت سببًا من أسباب نجاحه وانتشار شعره.

- قدرة الشاعر على التجاوب مع تجاربه الاجتماعية والفكرية، والخروج بها إلى الإنسانية عامة.

-سيطرت مناجاة الطبيعة على جل ديوانه؛ وذلك لطبيعة الشاعر الرومانسية الذي جعل الطبيعة ملاذه في كل أحداثه.

- ظاهرتا التضاد والتكرار بارزتان بوضوح في ديوانه، مما أحدث إيقاعًا مؤثرًا.

والله أسأل التوفيق والسداد والقبول.

## المصادر والمراجـــع.


١- الأدب العربي المعاصر في مصر د/ شوقي ضيف، الطبعة العاشرة، الناشر/ دار المعارف.

٢- الأدب في التراث الصوفي د/ محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر/ مكتبة غريب، بدون طبعة وتاريخ.

٣- أعلام الشعر العربي الحديث (أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي، بشارة الخوري)، تأليف: د/ محمد مندور، وعبد العزيز الدسوقي، تقديم/ إيليا حاوي، ط١: ١٩٧٠م، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر-بيروت.

٤- الأعلام للزركلي (ت:١٣٩٦هـ)، ط٥: ٢٠٠٢م، الناشر/ دار العلم للملايين.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت:١٢٠٥هـ) ت/ مجموعة من المحققين، الناشر/ دار الهداية (بدون تاريخ).

٦- التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور) د/ مصطفى حجازي، ط٩: ٢٠٠٥م، الناشر/ المركز الثقافي العربي.

٧- ديوان ابن الفارض الناشر/ دار صادر-بيروت، بدون طبعة وتاريخ.

٨- ديوان أطياف الربيع لأحمد زكي أبو شادي، الناشر/ مؤسسة هنداوي ٢٠١٩م.

٩- ديوان الشعلة، تأليف/أحمد زكي أبو شادي، الناشر/ مؤسسة هنداوي، بدون طبعة وتاريخ.

١٠- ديوان أنداء الفجر لأحمد زكي أبو شادي، الناشر/ مؤسسة هنداوي ٢٠١٣م.

١١- ديوان فوق العُبَاب لأحمد زكي أبو شادي، الناشر/ مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م.

١٢- الزاهر في معاني كلمات الناي تأليف/ أبو بكر الأنباري (ت:٣٢٨هـ)، ت.د/ حاتم صالح الضامن، ط١: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، الناشر/ مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٣- الشعر العربي الحديث (تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي) تأليف/س. موريه، ترجمه وعلق عليه د/شفيع السيد، ود/ سعد مصلوح، الناشر/ دار غريب ٢٠٠٥م.

١٤- الشعر المصري بعد شوقي تأليف: د/ محمد مندور، الناشر/ مكتبة نهضة مصر-الفجالة، (بدون طبعة وتاريخ).
١٥- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، تأليف/ مصطفى عبد اللطيف السحرتي، الناشر/ مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٤٨م.
١٦- شعراء الوطنية لعبد الرحمن الرافعي، الناشر/ مؤسسة هنداوي ١٩٥٤م.
١٧- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تأليف/ نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت:٥٧٣هـ) ت.د/ حسين بن عبدالله العمري، وآخرون، ط١:١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، الناشر/ دار الفكر المعاصر-بيروت، ودار الفكر –دمشق.
١٨- الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، تأليف/أحمد عوين، ط١: ٢٠٠١م، الناشر/ دار الوفاء-مصر.
١٩- ظاهرة المناجاة في شعر أبي نواس، تأليف/ صالح علي الشتيوي، (بحث منشور بمجلة مؤتة) المجلد ١٦، العدد ٢، عام ٢٠٠١م- الأردن.
٢٠- القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا د/ سعدي أوحبيب، ط٢: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، الناشر/ دار الفكر-دمشق.
٢١- قضايا الشعر المعاصر، تأليف/ أحمد زكي أبو شادي، صـ١٠، الناشر/ مؤسسة هنداوي، (بدون طبعة وتاريخ).
٢٢- لسان العرب لابن منظور (ت:٧١١هـ) ط٣: ١٤١٤هـ، الناشر/دار صادر-بيروت.
٢٣- المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (ت:٦٣٧هـ)، تحقيق/ أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، الناشر/ دار نهضة مصر للطباعة، (بدون طبعة وتاريخ).
٢٤- مدارس الشعر العربي في العصر الحدبث د/صلاح الدين عبد التواب، الناشر/ دار الكتاب الحديث ٢٠٠٥م.
٢٥- مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر (الاتباعية-الرومانسية-الواقعية-الرمزية) د/نسيب نشاوي، الناشر/ دار المطبوعات الجامعية- الجزائر ١٩٨٤م.

٢٦- معجم اللغة العربية المعاصرة تأليف د/ أحمد مختار عبد الحميد (ت:١٤٢٤هـ)، ط١: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الناشر/ عالم الكتب.

٢٧- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة د/ سعيد غلوش، ط١: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، الناشر/ دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان.

٢٨- معجم المصطلحات الأدبية، إعداد/ إبراهيم فتحي، الناشر/ المؤسسة العربية للناشرين المتحدين-تونس.

٢٩- المعجم الوسيط، تأليف/ مجمع اللغة العربية (أ/أبرهيم مصطفى وآخرون) ٩٠٥/٢، (باب النون)، الناشر/دار الدعوة.

٣٠- معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت:٣٩٥هـ)، ت/ عبد السلام محمد هارون، ط١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر/ دار الفكر،

٣١- المناجاة نوعًا أدبيًا (دراسة في كتاب الإشارات الإلهية) لأبي حيان التوحيدي د/ خيري دومة، (بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية) العدد ٢٦، ط٢٠١٥م.

## فهرس تفصيلي لموضوع البحث.

الموضوع الصفحة

مُقَدِّمَة ..... ٨٤٩
تمهيد: يتضمن موضوع الدراسة: (المناجاة وتحدِي القهر المجتمعي)، مصطلحات: المناجاة، وتحدي، والقهر، والمجتمعي. ..... ٨٥١
**المبحث الأول: وقفات مع الشاعر من حيث:** ..... ٨٥٦
السيرة الذاتية، والفنية، وإلقاء الضوء على دوافع قهره. ..... ٨٥٦
أولاً: السيرة الذاتية: ..... ٨٥٦
ثانيًا: السيرة الفنية للشاعر: ..... ٨٦٠
ثالثًا: دوافع قهره: ..... ٨٦٤
**المبحث الثاني: صور المناجاة في ديوان الشعلة** ..... ٨٦٧
أولاً: مناجاة الله: ..... ٨٦٨
ثانيًا: مناجاة الذات: ..... ٨٧٠
ثالثًا: مناجاة الغير (ظاهرة التجريد): ..... ٨٧٢
رابعًا: مناجاة الطبيعة: ..... ٨٧٧
خامسًا: مناجاة الزمن: ..... ٨٨٠
سادسًا: مناجاة المكان: ..... ٨٨٣
خاتمة: ..... ٨٨٥
المصادر والمراجع. ..... ٨٨٦
فهرس تفصيلي لموضوع البحث. ..... ٨٨٩